

# باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه نرغيباً في المعارف وانهاضاً لهمم وتشجيعاً للاذهان. ولكن المهددة فيما يدور فيه على اصحابه فتحن براه منه كاه . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف وبراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فنناظر ك نظيرك (٢) انما النرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الواقية مع الابداج تؤثر على المطولة

## معجم اسماء النبات

للدكتور احمد عيسى بك

قد ومقابلة بينه وبين معجم الدكتور محمد شرف

صديقي الاستاذ محمّر المقتطف الاغر

جاء في جريدة الاهرام الغراء عند الكلام على معجم اسماء النبات الذي اخرج به الدكتور احمد بك عيسى حديثاً انه معدوم النظير في اللغة العربية . ولما كنا قد اطلعنا على نسخة منه اهداها المؤلف الى صديق وجانا في صفحاتها جولات قصيرة ، وبدت لنا فيها ملاحظات كثيرة ، بادرنا الى اثباتها احقاقاً للحق واثباتاً للتحقيق العلمي

١ — ملاحظات عامة

اولاً — ذكر عيسى بك في مقدمة كتابه ما يلي — «وقد كان جمعي لما وقع الي من اسماء النباتات على علاته اي اني جمعت العربي الفصيح والمعرب والمؤاد فلم اترك منه شيئاً، بل تعمدت اثباته» . والقارىء يرى لاول وهلة وعند مجرد التصريح البسيط ان عدم تنسيق الالفاظ باد للعيان فهو يورد المترادفات دون تمييز بين الافصح والفصيح والمشهور والمألوف . ولم ينص على ما كان معرباً من القدم او كان مولداً . وكثيراً ما تجده يضع الاسم الهندي او الفارسي من الابتداء ويترك العربي المعروف الى النهاية او يورده في وسط الكلام فلا يدري الطالب اي الاسماء يصح اختياره وتفضيله . هذا فضلاً عن انه لا يذكر مصادر الالفاظ التي اثبتها حتى يتسنى للباحث الاطمئنان الى تحقيقه ، اذ ان كثيراً من الالفاظ التي اوردها لا وجود لها في المعاجم العربية المألوفة

ثانياً — ذكر في المقدمة ايضاً ان المعجم شامل كل ما عُرف من اسماء النبات

في المصنفات العربية مهما اختلفت جنسية الكلمة ، كما ذكر انه وضعه ليكون مرجعاً لتحقيق الكلمات التي اتت بها تلك المصنفات ، فجعله بذلك ذيلاً للمعاجم العربية وكتاباً فيلولوجياً. ولكن المعجم تنقصه اسماء نباتات كثيرة لم يذكرها ولم يميز مقابله بالفرنجية ووردت في المؤلفات والمعاجم العربية . وسنذكر قليلاً منها في هذا النقد

ثالثاً — لما كان المعجم الجامع الذي وضعه الدكتور شرف وظهرت طبعته الاولى سنة ١٩٢٦ والثانية في اوائل سنة ١٩٢٩ وجمع فيه المعلومات الحديثة وكل ما ورد في كتب العرب الاقدمين والتأخرين والمعاصرين واثبت فيه جميع الالفاظ الطبية ومصطلحات العلوم الطبيعية بضروبها وفروعها وعلوم النبات والحيوان ، مسندة الى مصادرها ومظانها ، احسن معجم صنف بالعربية الى اليوم بشهادة العلماء الاثبات والمختصين في الشرق والغرب ، وكان الى اليوم الركن الاعظم والسند الاوحد الذي نعتمد عليه في الكتابة العلمية وقد انتشر في انحاء العالم العربي وبين الاقوام العربية اللسان واقرته وزارة المعارف لمدارسها ، امام هذا كله لم نر بدءاً من المقابلة بينه وبين معجم الدكتور عيسى بك في اكثر الحروف والمواد النباتية . وقد خرجنا من هذه المقابلة بالاحكام الآتية :

(١) وجدنا تطابقاً غريباً بين اكثر المواد ومع ان الدكتور عيسى بك اتى ببعض ضروب في نبات الشرق الادنى الموجودة في حراج الشام والمغرب ، فانه قصر في ذكر عشرات من اسماء النباتات الاوربية والاميركية التي اثبتها الدكتور شرف ولها خواص طبية او مزايا اقتصادية فضلاً عن انه اهمل مئات من اسماء النباتات التي تزرع للزينة وغيرها في مصر وجنوب اوربا وسنضرب لكل ذلك امثالا عديدة فيما بعد

(ب) — يتبادر لذهن الموازن بينهما ان الدكتور عيسى نقل مواد باجمها في مواضع كثيرة لما في ذلك من التطابق واخفى النقل بتغيير ترتيب الكلمات او باهال الاسانيد او زيادة في تفسير الكلمات الفارسية او زيادة لهجات بربرية او اعجمية لم يذكر مراجعها واين عثر عليها ولم يبين مكانة المسند اليه . والواقع ان في مواضع كثيرة عكس ترتيب الالفاظ عكساً مخالفاً بل تعداه الى اسناد اسم ضرب Variety من النبات الى ضرب آخر ولم يبين لنا ما يثبت صحة هذا الاختلاف بينه وبين شرف

(ج) — اهمل الدكتور عيسى ذكر مراجع الفاظه ومظانها بخلاف معجم شرف فانه ملوء بذكر مصادر الكلمات وفي احوال كثيرة ينص على صحيفة الكتاب الذي قرأها فيه — وهذا مما يزيد قدره في التحقيق العلمي

(و) — نجد ان الدكتور شرف ينسب الفاظاً الى ابن البيطار او الى ندا بك او الى

نجاري بك او الى ابن سينا او بحري او الى عثمان غالب او الى انسي بك الخ — بينما نجد الدكتور عيسى اهمل الاسانيد على الاطلاق وذكر في قائمة مراجعه تذكرة داود ولم يذكر معجم شرف مع انه كان عضواً في الجمعية الطبية التي درست هذا المعجم قبل اقرار المؤتمر الطبي له واعتباره دستوراً للأوضاع العلمية العربية

( هـ ) هنا يكون الدكتور عيسى بين امرين . فاما انه لم يطلع على معجم شرف مطلقاً فيكون مقصراً لأنه لم يطلع على المؤلفات الخاصة بمادة كتابه قبل اخراجه . واما انه اطلع عليه واقتبس منه كثيراً او قليلاً ، ثم لما يذكره بين مراجعه وهذا غير منتظر من باحث علمي ( و ) لو ان عيسى بك قصر همه على اصلاح اخطاء وردت في معجم شرف ونقلها هو ايضاً على حالها . او انه حلى الاسماء التي أتى بها باوصاف علمية موجزة او برسوم مميزة لها لكان عمله اكثر نقماً — ولسد كتابه فراغاً كبيراً . والواقع ان معجم شرف يذكر في احوال كثيرة خواص النبات وفوائده الطبية مما لا تجد له أثراً في معجم عيسى بك النباني البحت ( ز ) يمتاز معجم عيسى بك بذكر معجم للكلمات العربية والفرنسية . وهو عمل مفيد جداً ، انما لاحظنا انه يضع الاسم العربي الواحد في احوال كثيرة لنباتات مختلفة الجنس والفصيلة ( ح ) امام هذا لا يسعنا الا ان نتقدم بالرجاء الى محرر المقتطف الغراء لكي يفسح مكاناً في مجلته المحترمة للدكتور شرف والدكتور عيسى وغيرهما من الباحثين حتى ينصف كل واحد منها وتظهر الحقائق العلمية للاحياء والاخلاف

❖ ٢ — الفاظ عربية لم ترد في معجم النبات للدكتور عيسى بك ❖

إبرة — ابرة الاندلس — ابرة العرب — الأجرِد نبت يدل على الكفاءة — الأجليح (مخصص ٩ — ١٢) أرانية — الأرت (مخصص ١٤٨ — ١١) الأزل — الاسليح (١٤٨ — ١١) الألاءة — الالب (مخصص ١٤٤ — ١١) اندرهشت (فارسية معربة Dog-bane) الأيرس (بالفارسية مخصص ١١) الأُمطي (١٦٣ — ١١) الاظفارة والاظاوير (١٩٩ — ١١) البَحْرَة (مخصص ١٤١ — ١١) الثرغول (مخصص ٨ — ١٢) الثغر (١٤٨ — ١٥١) الشوب (١٤١ — ١١) الثوع (١٤٥ — ١١) الثوم (١٩٧ — ١١) الجَدَف (١٦٦ — ١١) الجَدْر (٩ — ١٢) و (١٥١ — ١١) الثومان (١٥٨ — ١١) التَّدَاء (١٥٨ — ١١) الثرعول (٨ — ١٢) الجراز (١٤١ — ١١) الجَعْرَة (٦١ — ١١) الجَفَن (١٩٦ — ١١) الجَمَص (١٠ — ١٢) الثغر — حَبًا جُمَعيران شجرة قصيرة تشبه السرح (ابن السكيت ومخصص ٩ — ١٢) حب الكوكلان (ا . ب) وهو ثمر السَّرَعْر — حشيشة العقدة (Post) — Illecebrum

حشيشة المساويك — الحُضْحُضُ ( ابو مالك وابن سيده ١٠—١٢ ) الحصيل (١٠—١٢)  
 الحليب ( مخصص ٨ — ١٢ ) الحِفْل ( ١٠—١٢ ) الحليب ( ٩—١٢ ) الحِائَة (١١)  
 Indigofera وهي التي يسميها اهل البادية الشَّبْرُق — الحماقن ( ١٠—١٢ ) الحماق  
 والحقيق والحقيق ( ١٠—١٢ ) والحندم ( ٨—١٢ ) والحالف والحربص والحسيرة  
 Elensive والحضيرة والحفخف ( ١٠—١٢ ) والحفج والخلص ( ١١—١٩٧ )  
 والحللاب ( ا . ب ) والدعامة ( مخصص ١٠ — ١١ ) والدعوب ( مخصص ٨ — ١٢ )  
 والدعيبوب وهو من الخطأ الذي نقله عيسى عن شرف — والدعاع (مخصص ١٠—١٢)  
 الدمدم (١١—١٩١) دُوْدَم (١٩٧) والدعائق وراحة الكلب (مخصص ١٤٧—١١)  
 الى غير ذلك من عشرات الاسماء

﴿ ٣ — اغلاط لغوية ﴾

الصواب	الخطأ	الصواب	الخطأ
عرسف ٧—٢٣ العرصف (القاموس والجاوس)	جُعْدَة ٨—١	ششم ١—٦	ششم ١—٦
جَعْدَة	زُمَارَة ٨—١٨	كاذي	كات ٢—٤
زَمَارَة	أَهْنَة ١٢—١٤	دخبي	داحية ٢—١١
أَحْن	خِلَة ١٣—١	خشاب	هشاب ٣—٣
خِلَة	نُغَام ١٤—٥	هراس	حرس ٣—٦
نُغَام (مخصص ١٧٨—١١)	بَابِل ١٤—٥	سَنَف	سِنَف ٣—١٢
بَابِل	إِنِوْطَن ١٤—١٦	عُقَيْص	عُقَيْص ٥—٥
بَابِل	رُكَيْب ١٦—٦	حُلَيْم	حُلَيْم ٤—٥
رُكَيْب (تشدد الكاف)	رِيَان ٨—١٨	شعر	شعر ٦—١
رِيَان (بتشديد الباء)	ذَخْف ٢٠—١٠	جَعْدَة	جَعْدَة ٦—١
ذَخْف (بضم الاول)	كَحَالِي ٢١—١٣	ذَرَح	ذراح ٦—١
كَحَالِي (١)	غَاثِي غَاثِي (ا.س)	غَاثِي ٧—١١	غَاثِي ٧—١١

ثم انه ذكر عَرَجَم ( ١٠٣—٢١ ) وَعُرَيْم ( ٣٠—١ ) لنبات واحد فأيهما الصحيح  
 هذا قليل مما وقع عليه نظرنا عدا الاغلاط الاخر فنجية في الهجاء وترتيب الكلمات في غير مواضعها  
 ﴿ ٤ — التكرار ﴾ جرت عادة العلماء ان يكتبوا جنس النبات اولاً معرفاً ثم يفتاً  
 علمياً وبعد تعيين فصيلته تذكر الانواع والضروب الشهيرة. وهذه هي الطريقة التي جرت عليها

(١) [المتطف] لقد ذكر الكاتب ما يملأ صفحة من هذه الالفاظ فاكتفينا بإيراد ما تقدم لضيق انقاص

المعاجم الافرنجية وتبعها معجم شرف. على ان عيسى بك يكرر اسم الفصيلة بعد كل نوع تقريباً من انواع النبات الواحد. ولم نفهم لذلك غرضاً صحيحاً. ولو انه شغل الاسطر التي ملاءها بال تكرار باسما نباتات اخرى لم يثبتها أو بتحلية علمية موجزة او صور واشكال مميزة او نص على مصادر الالفاظ ومراجعتها بدلاً من الاستغراق في ذكر الفاظ بربرية او هندية او فارسية بحتة او غيرها دون ان يذكر لنا المظان التي وجدناها فيها لسهولة الرجوع اليها ، لامتاز معجمه بميزة جديدة ولكن نخر المؤلفات التي صدرت هذا العام . ولا ندرى هل الالفاظ التي ذكرها مرادفات لما جاء به معجم شرف ذكرت في معاجم اعجمية او وردت في كتب عربية ؟ ومثال ذلك ذكر شرف الاقايا (acacia) وعرف الجنس والفصيلة ثم اثبت أربعين نوعاً من الانواع الشهيرة التي يهمننا معرفتها . في حين ان الدكتور عيسى لم يعرف الجنس ولم يذكر الا ٢٦ نوعاً ككرر في خلالها اسم الفصيلة ١٨ مرة شغلت كل مرة سطرأ منفرداً . وبالمقابلة بين الكتابة وجدنا تطابقاً غريباً . فان شرف ذكر جنس الارطاسيا (Artemisia) وعرفه وذكر فصيلته ١٤ نوعاً . اما عيسى فقد بدأ كعادته بذكر نوع ثم أردفه باحدى عشر نوعاً ومرادفين ككرر بينهما اسم الفصيلة ١٢ مرة . وذكر شرف الاسطرغالس (Astragalus) ولم يذكر اسم الفصيلة غير مرة بينما ذكرها عيسى ١١ مرة وهكذا

### ٥ — الاضطراب في التأليف

ذكر ان خولنجان من اصل فارسي في صحيفة ٨٥ — ١٤ ، ثم ذكر انها من اصل سنسكريتي في ص ١٠ — ١٣ فأيها اصح ؟ والراجح ان كلاهما خطأ والصواب ان الكلمة صينية الاصل كما ذكرها شرف . وذكر بلُبوخ في صحيفة ٩٥ — ١٩ نقلاً عن شرف وصحة الوزن بلُبوخ بضم الاول. ولم يذكر بلُبوخ التي ذكرها شرف منسوبة الى آشرسون وشوينفورث . ولقد اخطأ شرف في كتابتها بالشين اذ هي تعريب كلمة (Bulbus) وهذا النبات من ضروب البصل

### ٦ — المقابلة بين المعجمين واثبات الاصلاح المهجور علمياً

يوجد بين العلماء اتفاق دولي على اسما الاجناس والانواع وكثير من هذه الاسماء جديد حل محل اسما قديمة هجرت إما لخطئها واما لانها مرادفات منسوبة بغير حق لاشخاص لم يكونوا اول من وصفوها . ولقد وجدت ان معجم شرف يشمل اكثر الاجناس التي جاءت في معجم عيسى وبينها مطابقة تامة بين اسما النباتات الافرنجية والعلماء المنسوبة اليهم ، وتحرينا ما زاد في معجم عيسى فوجدنا انها اسما نباتات من وضع فورسكال الذي زار اليمن ومصر سنة ١٧٧٥ وابدل كثيراً منها باسما جديدة وأهمل الآخر وكان واجباً

على الدكتور عيسى ان ينص على ذلك او يهمله . ومثال ذلك

Spartium Juncein	اذ يسمى الان	Duriaci	الرم
Euphorbia	،،	Euphorbia Forsk	،
Dorena.	،،	Disermestum gummifera	،
Salvia	،،	Hormium	،
Commiphora	،،	Hencelotia	،
?	،،	Heliosciadum	،
Xylophia	،،	Habzelia	،
Is atis	،،	Glastum	،
Pongania.	،،	Galedvpa	،

﴿ ٧ — ابدال ترتيب الالفاظ ﴾

قابل مثلاً مادة Hedra و Glayeyrrhize ومادة Geranium ومادة Glaucuum

ومادة Ficus ومادة Ammoniacum ومادة Dorena ومادة Crocu ومادة Cordia

myxa — وهكذا في اكثر مواد الكتاب

﴿ ٨ — اهمال ذكر فصائل بعض النباتات ﴾

مثل Erythrocodium denscanis ومثل Erythrocoeca abyssinica ومثل

Dobera glal ra ومثل Drogneta iners ومثل Felicia Schimperى وهو العنزيه

مخصص (١٠—١٢) كما ذكره شرف وكتبها عيسى خطأ العنصيف

﴿ ٩ — عدم ذكر اكثر اللغات في الالفاظ الواحد واسانيدها كما فعل شرف ومثاله ﴾

عيسى — ابو طيلون Abutilon

شرف — ابو طيلون نبات في البلاد الحارة من جنس الحيازي ( او بو طيلون ابن سينا)

ابو طاليون — صاري خطمي ( بالتركية )

عيسى — ابو طيلون — شوك الغم G. Avicenna Gaert

شرف — شوك غم — ابوطيل — ابو طيلون

عيسى — قرقدان — ترين اليمين A. bidentatum H.

شرف قرقدان (العرب) حيازي هندي بورق قطيفى Velvet leaf Indian Mallow

عيسى — قرقدان ( السودان ) حَبُّ سُدْبِل

شرف — لدج ( الصعيد ) قرقدان A. muticum Webb

هذا ما رأينا اثباته الآن. وقصدنا الاول التجميع وفتح باب المناقشة توصلنا للحقيقة

واتقاء ما قد يحدث تضارب المعاجم من فوضى في النقل العلمي

## الامومة عند العرب

لما كتبت مقال وأد البنات والاشتراكية في النساء الذي نشره المقتطف في عدد يوليو ١٩٣٠ ما كنت أحسب ان سيقودني من ذلك الى بحث آخر اكثر وعورة. لكن جاءني من الاستاذ بندي الجوزي الاستاذ بجامعة باكو كتاب يوجه فيه نظري بمناسبة هذا المقال الى كتاب عنوانه « الامومة عند العرب » للاستاذ ج. ولكن G. Wilken من جامعة ليدن قال ان فيه بحثاً طيباً عن الواد واسبابه يخالف ما وصلت اليه . وقد حصلت على ترجمة للكتاب وهي بقلم الاستاذ الجوزي نفسه ومطبوعة في قازان . اما الاصل على ما جاء في المقدمة فبالهولندية وترجم منها الى الالمانية ثم نقله الاستاذ الى العربية من تلك الترجمة لجهله لغة الاصل . واني لاشكر الاستاذ الفاضل ما هيأ لي من فرصة هذا البحث التاريخي الطريف ورأيي في الواد الذي تضمنه المقال السالف الذكر « انه من عادات البدو ويمارسونها في فصل الجفاف الذي تقل فيه الاقوات والكلأ فيضطرون الى الارتحال للنزول والتماساً للمرعى ويقتلون الاطفال عندئذ اقتصاداً للزاد ينفعهم في رحلاتهم »

وقد رجعت الى كتاب الامومة لأقف منه على رأي المؤلف في ذلك ومبلغ مخالفته لي فلم اجد كبير خلاف بيننا فانه يقول والكلام هنا عن العرب خاصة « اما سبب وأدم البنات فكان اما خووفهم من حقوق العار بهم من اجلهن او للتخلص من مؤونة تربيتهن » ثم يبين ماهية هذا الخوف بقوله انه الخوف من وقوعهن في ايدي رجال القبائل فيلحقهن العار بسبب ذلك . وهذا الشرح من تفسير الزخشمري والبيضاوي لسورتي النساء والتكرير في الكلام عن الواد

وخلاصة رأيي ان سبب وأد البنات الفقر و خلاصة رأيه انه الفقر كذلك لكنه يضيف اليه الخوف من وقوعهن في ايدي رجال القبائل واما لا اخالفة في ذلك البتة لكن ثم في ناحية اخرى من الموضوع خلاف جوهرى بيني وبين صاحب كتاب الامومة لم يشر اليه الاستاذ الجوزي في كتابه لي . ذلك اني برأت العرب من وصمة الاشتراكية في النساء لما اشتهر عنهم من الغيرة عليهم . والمؤلف يرى غير ذلك وقد الف كتاب الامومة بهذه الفكرة يريد ان يثبتها عنهم . ويراد بالامومة في هذا الباب الانتساب الى الام دون الاب لتعذر تمييز الاب على وجه التحقيق واما يكون ذلك في حالة تعدد الأزواج

ومجمل ما وصل اليه المؤلف في تحقيق ذلك ما يأتي : —

١ — كان الزواج عند العرب على أنحاء منها ما تجوز فيه المشاركة على النساء ٢ — كانوا يسمحون بزواج ابناء العمومة خلافاً لما يؤثر عنهم من ذم الزواج بين الاقارب ٣ — اقتضاهم بالاخوال ٤ — انتساب بعض القبائل الى الام دون الاب ٥ — استعمالهم لفظة بطن بمعنى قبيلة . اما انواع اجتماع الرجل بالمرأة عند العرب فاشهرها خمسة :

(الاول) — زواج بايجاب وقبول ومهر يتفق عليه بين ولي الزوج وولي الزوجة — (الثاني) — الاستبضاع . كان الرجل يقول لامرأته اذا طهرت من طمئنها ارسلني الى فلان استبضعي منه ويعتزلها زوجها حتى يتبين حملها ومعنى استبضعي منه خذي منه بضعة اي ولداً لان الرجل كان اذا دفع زوجته الى مثل هذا اعتذر عن نفسه بأنه انما اراد نجابة الولد — (الثالث) — زواج التمة وهو اجتماع يقع بنير شهود لأجل مسمى بقصد الاستمتاع بأجر متفق عاينه — (الرابع) — يجتمع الرهط مادون المشرة فيدخلون على المرأة وكلهم يصيها فاذا حملت ووضعت ومرء عليها ليالي بعد ان تضع حملها ارسات اليهم فلم يستطع رجل منهم ان يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم قد عرفتم الذي كان من امركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان فيلتزم بذلك ويعترف به — (الخامس) — يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها فاذا حملت ووضعت حملها ألحق الولد بمن غلب عليه شبهة منهم

والنوع الاول هو الزواج الذي عليه الناس الى يومنا وأهم اركانه الشهود والمهر ونية البناء على التأيد والنوع الثاني متاجرة بالعرض لا يمارسها الا الطغام الذين تجردوا من الحياء والغيرة من شدة الفقر والمترية زلفاً الى النسفة من الاغنياء وطمعاً في رفقهم . وما اعتذارهم بالرغبة في نجابة الولد الا مغالطة لانفسهم فيما يفرطون فيه من عرضهم مخالفين لما عليه الناس جميعاً من وجوب الحرص عليه . اما الانواع الاخرى فليست من الزواج في شيء بل هي بغاء صريح وانما تعددت أنحاءه تبعاً لاختلاف اهواء الناس وطبقاً لحاجات اهل الدعارة الذين يريدون الاستمتاع بالنساء من دون ان يحملوا اي تبعة من تبعات الزواج وهم موجودون في كل امة وفي كل عصر ومن الخطأ ان يمد ما يتخذون من سبيل الى قضاء شهواتهم في امة انه من شرائعها او طرائق الزواج فيها وتصدر عليها الاحكام بالنظر اليها على هذا الاعتبار

على انا لوسا مننا جدلاً بان الامومة كانت من تقاليد العرب وتلك السانحات من آثارها لكان في بقائها بمد اتقالمهم الى نظام الابوة واتخاذهم النوع الاول من انواع الزواج دعامة له معنى من معاني المحافظة على القديم ولاستلزم ذلك بناء الامومة معها . لكن ما وصل

لينا ينفي ذلك اذ كانت المرأة تحرص اذا وضعت حملها ان تنسبه الى رجل من اصحابها ليدعى به . وان دل ذلك على شيء فانه يدل على عراقة الابوة عندهم اما سماحهم بالزواج بين ابناء العمومة خلافاً للمأثور عنهم من ذم الزواج بين الاقارب فيعمله المؤلف بان الشعوب التي جرت على نظام الامومة لم تعتبر القرابة الا من جهة الام لانها بحسب هذا النظام محور العائلة وواسطة عقدها وبنث العم بناء على هذا ليست من القرائب وهذا التعليل يكون صحيحاً اذا ثبت ثبوتاً قاطعاً ان الزواج بين الاقارب غير ابناء العمومة كان ممنوعاً عند العرب . اما المؤلف فلم يأت بدليل على هذا الا عبارات جرت عندهم بحرى الامثال في ذمه مثل قولهم « الزائع لا القرائب » وقول عمرو بن كلثوم من وصيته لاولاده « لاتزوجوا في حيك فانه يؤدي الى فييح البغض » ومثل هذه العبارات مها تعددت لا تعدو ان تكون آراء خاصة لاصحابها في مناسبات اقتضتها تتعلق بهم وخدمهم . فاعتبارها شريعة فيه تصف وتجاوز للقصد . ولو جرينا على ذلك بالنسبة لمصر واخذنا بما عندنا من امثال في ذم الزواج بين الاقارب لحكنا ان المصريين لا يجيزونه وهذا مخالف للواقع لان العادة عند سوادنا في الزواج تفضيل الاقارب على الاباعد وبحسبي هذا مثلاً لا ثبات ان الامثال السائرة ليست مما يصلح الاستدلال به في المسائل الاجتماعية

والذي اراه في هذه المسألة ان لها علاقة بما عليه البدو من الحرص على الزواج في داخل قبائلهم بل لقد رأيت ان اكثر تقاليدهم والتقاليد هي شرائع تملبها الفطرة على الناس ردهم الى الحال التي تقتضيها بيئاتهم ترمي الى هذه الغاية الموافقة لمقتضى احوالهم ويتعلق بها وجودهم كقبائل مستقلة وذلك لانهم لحاجتهم الى التنقل والضرب في الصحراء التماساً للكلام وطلاباً للرزق لم يتخذوا اوطاناً ينتنون اليها ويعرفون بها واذ كان لاغناء لاي جماعة من الناس تريد ان يكون لها وجود مستقل عن سمة يتسمون بها والا اندجوا في غيرهم وذابوا في محيط البشرية الحضم وقد استعاض البدو من الوطن بالقبائل ينتسبون اليها ويعرفون بها وجعلوا الانساب حدوداً لها . واعتبر ذلك في العرب النازلين في صحراء مصر على جانبي النيل كيف نجد ان القبائل التي حافظت على تقاليدها ولم تختلط بأهل البلاد قد بقيت لها صبغتها العربية بخلاف الذين اختلطوا بالمصريين وصاهروهم فانهم اندجوا فيهم وصاروا منهم فحرص البدو على الزواج من داخل قبائلهم هو لمنع اختلاط الانساب تفادياً من هذا المصير وانما آثروا الزواج بين ابناء العمومة لانه اوكد للمصيبة وفيه قوة للقبائل ومنعة وأما التفاخر بالاخوال فيرجع في رأي المؤلف الى نظام الامومة كذلك حيث كانت القرابة لا تعتبر الا من جهة الام . وفي ظني ان ليس الامر فيه كذلك وانما المراد به

في الحقيقة اظهر نسب الام وهو في العادة اخفى على الناس من نسب الاب والاشادة بشرفه مباينة في التباهي بالاحساب . وذكر الخال للدلالة على الام هو من قبيل الكناية كماداتهم في التعريف عن المرأة بكنيتها لان التصريح بأسماء النساء لم يجز به العادة عندهم وتلك العادة فيما ارى نتيجة لما علمت من حرص البدو على الزواج الداخلي والغاية منها تعزيز هذا التقليد ومنع التهاون فيه . ذلك لان التفاخر بشيء يقتضي وضوح الحجية فيه والا كان عقياً فاذا لم تكن الام من بيت معروف في القبيلة كان التفاخر بالخال محلاً للاطمئن فلا تتحقق به غاية

وكان من اثر هذه العادة ان اصبح من تقاليدهم التدقيق في اختيار الزوجة حرصاً على شرف الابناء وقد افراطوا في ذلك حتى جاوزوا احياناً حد الاعتدال اذ كان احدهم يمتنع عن الزواج بامرأة معينة لبيت من الشعريين في ذم اهلها ومن قبيل ذلك ما رواه ابو جعفر الطبري عن هشام بن عمرو احد شيوخ بني تغلب انه دخل يوماً على الخليفة المنصور فعرض عليه اخته فأطرق المنصور وجعل ينكت الارض بنخيزرانة في يده وقال اخرج يأتك امري فلما ولى قال لخدمه وكان يدعى ربيعاً يا ربيع لولا بيت قاله جرير في بني تغلب لتزوجت اخته وهو قوله :

لا تطلبنَّ خؤولة في تغلب فالزنج اكرم منهم اخوالا

وكان كبارؤهم يترفعون عن الزواج بالسبايا وهن النساء اللواتي يؤخذن عنوة بعد قتال خشية ان يعير ابناؤهم بذلك وهم يريدون لهم الشرف والسبايا يقابلهن في مصر الجوارى من حيث آهنن زرائع قد انتزعت من اهلنَّ وعندنا اذا اريد التعريض بأبائهنَّ كنى عنهم بعدد احوال وذلك انكى الذم والراجح ان هذه العادة اتصلت بنا من العرب

وأما انتساب بعض القبائل الى الام دون الاب فيرجعه المؤلف كذلك الى زمن الامومة لما كانت المرأة هي سيدة قومها . ولست على رأيه في هذا لان اقدم القبائل التي وصل اليها خبرها كمعاد ومود كانت تنسب الى آباؤها وفي ذلك الدليل على ان تلك كانت عادة العرب من اقدم العصور فاذا وجدت بعض القبائل تنتسب الى الام فهو من الشواذ ولا بد له من اسباب خاصة مكنت للام ان يذبح اسمها حتى يصبح علماً على ابناؤها ومن ذلك موت الاب في مستقبل العمر وكفالتها لابنائها من بعده وحسن قيامها على تربيتهم فيعرفون من ثمَّ بأبائهم لا بأبائهم

واما استعمالهم كلمة بطن بمعنى العائلة او القبيلة فهو عند المؤلف من الادلة الواضحة على

شيوخ الامومة قبل استحكام الابوة عندهم وبرهانه على ذلك ان هذه الكلمة او ما يرادفها كانت موجودة عند غير العرب من الشعوب التي كانت على نظام الامومة للدلالة على صلة القرابة . ومن الامثلة على ذلك هذه العبارة Sabuwah pèrut التي يطلقها سكان اعالي جزيرة صومترا على اهل البيت الواحد والجماعة من ذوي القرابة ومعناها بلغتهم من بطن واحد او رحم واحد وهذه العبارة Sana to to an ومعناها بلسان قبائل النورفي مينهاسا التابعة لجزائر السيليب (Celebes) الشاربون من حليب واحد وهي مأخوذة من to to بمعنى حليب

وعند العرب من هذا القبيل لفظة رحم للدلالة على القرابة التي سببها الام ومراضع للذي يشارك آخر في لبن امه ويدعى لذلك اخ له بالرضاع لكن لم يعرف انهم استعملوا قط لفظة بطن في هذا المعنى وانما استعملت للقسم من القبيلة كما استعملوا لذلك ايضاً لفظة نخذ كعادتهم في تشبيه الشيء الذي يتألف من اصل وفروع بجسم الحيوان واستعارة اسماء اعضائه لما يقابلها من اجزائه والامثلة على ذلك كثيرة فقد اطلقوا لفظة رأس على اعلى كل شيء واستعملوا لفظة بطن بمعنى وسط في مثل قولهم بطن الوادي وبمعنى جوف لما انخفض من الارض ولفظة صدر لبروزه عن سائر الجذع للمقدم في قومه . وعندهم ليست اجزاء الجسم في مرتبة واحدة من الشرف بل منها الرفيع والوضيع فكانوا لذلك يكتنون بأسمائها في مواضع الدم او المدح ومن قبيل ذلك البيت الآتي :

قوم هم الالف والاذناب غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا

النتيجة

والذي يخلص من هذا ان القول بان العرب كانوا على نظام الامومة لا يستند الى دليل اذ لم يثبت قط انهم مارسوا الاشتراكية في النساء وهي الحالة الوحيدة التي يتعلق بها هذا النظام بل هو من نتائجها

وتلك النتيجة تؤيد ما ذهبت اليه في مقال الواد والاشتراكية في النساء من ان الاشتراكية لا تكون الا في البيئات التي يعتمد اهلها على الادخار حيث ينصرف الرجال في المواسم الى الجمع ويقضون في ذلك شهوراً عديدة وتقر النساء في البيوت لتلقي ما يبعث الرجال به اليهن لحفظه فيضطررن لطول غياب الرجال عنهن الى اتخاذ الاخذان . وان الواد من عادات البدو الذين يضطرم محل الارض في فصل الجفاف الى الظمن بقضهم وقضيضهم في طلب القوت والمرعى ويقتلون الاطفال عندئذ توفيراً لموتهم وخوفاً عليهم من الوقوع في ايدي رجال القبائل التي تعترض لهم في غزواتهم

ناشد سيفين

اسيوط

اسيوط